دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	وسائل الإعلام: سؤال المضامين الثقافية
المصدر:	المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والانسانية
الناشر:	جامعة إبراهيم سلطان شيبوط الجزائر 3
المؤلف الرئيسي:	ساحل، عبدالحميد
المجلد/العدد:	ع2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	جوان
الصفحات:	132 - 144
رقم MD:	1112829
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch, HumanIndex
مواضيع:	وسائل الإعلام، الوعي الثقافي، حرية التعبير
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1112829

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

وسائل الإعلام : سؤال المضامين الثقافية

د. عبد الحميد ساحل

أستاذ محاضر

كلية علوم الإعلام والاتصال جامعة الجزائر -3-

وسائل الإعلام : سؤال المضامين الثقافية

د. عبد الحميد ساحل

كلية علوم الإعلام والاتصال

جامعة الجزائر -3-

الملخص

تشكل مسالة المضامين الثقافية في وسائل الإعلام، خاصة السمعية البصرية منها موضوعا متجددا انطلاقا من سياق معاصر يتسم بتحولات تكنولوجية في هذه الوسائل، وبتنوع المادة الإعلامية في بعدها المحلي والخارجي، والذي يعكس بدوره فاعلية ثقافية واجتماعية تؤثر في بناء مجتمع ما.

ولا شك أن طرح التساؤل حول الغزو المعلوماتي أو طبيعة استخدام الإعلام في أي مجال حاليا بشكل كثيف وسريع هو بحد ذاته يبقى مهما لأنه يؤدي إلى النقاش حول المضامين أو المحتويات الإعلامية التي تبقى رهانا قد يستحق إيلائه الأولوية عوض التساؤل حول طبيعة ملكية هذه الوسائل.

مقدمة

يقول الفرنسي جاك إيلول « ELLUL » : [النقاش حول الملكية نقاش غريب وخيالي عبثي. ففيما يتعلق بالأفراد والمجتمع فالأمر سيان سواء امتلكت الدولة أو الشبكات أو المجموعات المالية التلفزيون][1].

وهذا يحيلنا إلى ما ذهب إليه الدكتور عزي عبد الرحمن الذي اعتبر أن وجود نزعة تقليص المادة الإعلامية إلى إنتاج يرتبط بالهيئة الرسمية إذا كانت الوسيلة تتبع الدولة أو أخر يمثل إفراز العملية التجارية إذا كانت الوسيلة خاصة أو شبه مستقلة والحاصل أن " النص الإعلامي" أوسع من هذا التصنيف إذ يستمد نفوذه أساسا من رمزيته ونفوذه الاجتماعي الأوسع إضافة، ونظريا إلى مدى ارتباطه بالقيمة. [2]

إن المنتوجات السمعية البصرية تحمل مضامين إعلامية وثقافية متعددة لكن هذا التعدد يحمل تعددا في المعاني والمقاصد، يبقى جانب منه مشوها أو أحيانا مضللا للمتلقي أينما وجد. ويلحق التشويه واقع بلدان أو شعوب لا تملك وسائل لإنتاج المادة الإعلامية، أو أخرى غير قادرة على استلهام واقعها أو تاريخها بحيث تكون في مستوى الدول المتقدمة رغم توفرها على الهياكل والأدوات الضرورية للإنتاج السمعي البصري. [3]

بطبيعة الحال قد تكون السياقات السياسية (حرية التعبير) والاجتماعية (انتشار الأمية) متغيرات تساعد في فهم أو مقاربة أداء المضامين الإعلامية، خاصة الثقافية منها.

ويسود حاليا سواء في المجتمعات الغربية أو في العالم العربي، حالة عدم الرضا لدى فئات معينة، فاعلة في الواقع الثقافي والإعلامي، عن المضامين الثقافية في وسائل الإعلام السمعية

البصرية. والأمر متصل بجانب المضمون ذاته : ماذا يبث من محتوى ذات توجه ثقافي أو بجانب حضور هذه المضامين وحجمها الكمي في البرامج الإعلامية.

- إن المنطلق الغربي في تفسير جانب من حضور هذه المضامين الثقافية في الميدان السمعي البصري، هو يتبع المنطق التنافسي بالدرجة الأولى، فثمة اتفاق للملاحظين والفاعلين على أن البرامج ذات البعد الثقافي لا تستهدف جمهورا عريضا، ما عدا في حالة الحدث الاستثنائي فحصة سرق الجمهور(audience) نادرا ما تتجاوز 5% وهذا ما يدعو إلى التساؤل حول حتمية زوال مثل هذه المحتويات بصفة تدريجية، أو برمجتها في ساعات التابعة الضعيفة[4] نظرا لدفاتر الشروط المعتمدة.

- وتشير إحدى الدراسات للقنوات التليفزيونية العربية إلى أن البرامج الثقافية قليلة الحضور في القنوات العمومية منها، إذ أنها لا تتعدى ما يعدل نسبة 5. 04 % من مجمل الوقت الذي يخص البرامج التي تبثها[5].

لكن ينبغي الإشارة إلى أن أداء وسائل الإعلام على العموم وبالرغم من فاعليتها الثقافية، لا تنشط بمعزل عن وسائط اتصال أخرى وعن مؤسسات اجتماعية وسياسية أخرى تمارس التنشئة الاجتماعية، (التعليمية والأسرية)

ثم إن هذه المضامين ذاتها تطرح مسالة تعريفها المرتبطة عموما بالتصور المعطى لمفهوم الثقافة بذاته.

- الثقافة : مفهوم ورؤى :

إن تسطير مضامين ثقافية إعلامية قد يكون طبقا لاحتياجات معبر عنها في المجال التنموي لبلد معين. لكن تبقى أبعادها متصلة بالمعنى المتضمن في الثقافة ذاتها كمفهوم. نحن لسنا ملزمين بتبني مفاهيم محددة سواء من قبل تجارب دول معينة أو اتجاهات فكرية خاصة. لكن ما هو متضح أولا هو أن مفهوم الثقافة بذاته متغير ويختلف من منحى إلى أخر، فقد تكون المقاربة سوسيولوجية أو انتروبولوجية أو جمالية. . . ، وقد يختلف من فضاء حضاري معرفي إلى أخر. ويكون استخدامه حتى متنوعا من بلد إلى أخر فبعض البلدان تركز على المنى الانتربولوجي والأخرى على المعنى الجمالي. وقد يأخذ معنى سياسيا كما حدث في ايطاليا خاصة في 60 القرن الماضي، حينما كان تصور الأداء الإعلامي يندرج في سياق ثقافة أساسية مشتركة تخدم وحدة البلاد. [6] لكن غلبة مفهوم الثقافة في الفكر الغربي تحول إلى البعد الجمالي. ففي الأدب الإعلامي فان الثقافة سواء أكانت نخبوية أو جماهيرية فإنها ترتكز على الفن والترفيه.

- ولقد حاول المفكر مالك بن نبي أن يقدم تصورا شموليا لمفهوم الثقافة الفاعلة في المجتمع، من خلال تحديد تركيب فكري جمل من الإبعاد الأخلاقية والجمالية والتقنية (العملية) العناصر التي تسهم في البناء الثقافي للفرد والمجتمع معا مع التأكيد على علاقتها العضوية بالسلوك وأسلوب الحياة، أسلوب الحياة الذي يلاحظ في قنوات إعلامية أوروبية أو أمريكية تسعى لتثمينه بكثافة (ألمانيا- أمريكا). فالثقافة في نظر هذا المفكر إذن لمجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة تربط سلوكه

بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، يعني على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[8] دون أن ننسى أن الثقافة هي أيضا عادات وتقاليد وأذواق وعواطف. فالثقافة سمة للمضارة.

من هنا يمكن أن نستنتج أن بروز أزمة ثقافية ما لدى فرد يكون أحيانا مرتبطا من حرمان من الجو الثقافي الذي قد ينعكس في القنوات الإعلامية المختلفة. [9]

-لهذا فان محاولة تحديد مفهوم المضامين الثقافية بوسائل الإعلام يصطدم بهذا المعطى التصوري للثقافة جغرافيا وحضاريا وهذا يعني أيضا الإشكال الواضح في تصنيف هذه المضامين في خانة البرامج الإذاعية أو التلفزية.

-ففي التوجه الأوروبي تعتبر برامج ذات مضامين ثقافية، تلك التي تعكس المجالات الفنية الكلاسيكية : كالأدب، فنون العرض، (scène)الموسيقي، الفنون التشكيلية، العمارة، التراث. . . مع مضامين يمكن اعتبارها ثقافية مرتبطة ثقافة مجموعة بشرية محددة لبلدها (جغرافيا- لغويا-دينيا) قد توصف بالأقلية الثقافية ثم إن خصوصية هذه المضامين جعلت الملاحظين والمحللين يتحدثون عن الثقافة النخبوية والثقافة الجماهرية، عن الثقافة الشعبية والثقافة الرفيعة، دون تناسي حدود وسائل الإعلام التي تبث هذه المضامين، بسبب وجود وسائط أخرى.

وفي هذا التوجه تم تحديد المضامين الثقافية "الرفيعة" التي لها علاقة بالفنون الجميلة [الموسيقى، الرقص، الأدب، المسرح الفنون التشكيلية، العمارة، السينما. . . .) مع الاقتباسات المختلفة من الأعمال المسرحية لانجاز عروض معينة. أو انجاز مضامين راهنة من خلال برامج متخصصة

حول الفنون الجميلة والتراث، أو ما ارتبط منها براهن الإنتاج الثقافي (الكتاب الاسطوانات (الأقراص) السينما، المسرح، المعارض. . .).

تم تحديد مضامين "تثقيفية" خارج الفنون الجميلة ذات أبعاد تربوية، إعلامية، ترفيهية مخصصة لموضوع معين غير فني (التاريخ – الجغرافيا- البيئة- العلوم- الاقتصاد- الجيو سياسية) فهي تعمل على التزويد بالمحتوى المعرفي والاكتشاف. ويمكن للمنتج الإبداعي الفيلمي أو المسلسلاتي (السينمائي والتلفزي والإذاعي) أن يلحق أيضا بها(كنوع من المضامين الثقافية)[10]. وأصبحت ما يسمى بالثقافة الصحية مضمونا أخر يمثل مساحة وحضورا في هذا الجانب، قصد إعلام الأفراد وحقهم في معرفة طرق الوقاية ومخاطر سلوكية تهدد صحتهم النفسية والبدنية وحتى ما ارتبط بالسلوك الاستهلاكي في ميدان التغذية.

كما أن المضامين الداعية للانفتاح على العلم تسعى لتخطي الترفيه، وتقديم معلومات لاكتشاف حياة بلدان أخرى وأنماط معيشتها [11]

-والملاحظ في تنوع المضامين القنوات المتنوعة العربية(التلفزية) أن ثمة فصلا ما بين البرامج الفنية(الموسيقى، السينما، الدراما).

وما بين البرامج الثقافية، وفصلا بين هذه الأخيرة والبرامج الدينية والعقائدية. مع الجمع بين ما هو ثقافي وتعليمي حين أن جزء من المنتوج الفني الإبداعي قد يشكل مضمونا ثقافيا. وكذلك فيما يخص المضامين الدينية التي تدخل في سياق التثقيف الديني[12] وقد أشارت إحدى الدراسات الأخرى إلى الصعوبة الكامنة في تحديد المضامين وربطها ببرامج سمعية بصرية في العالم العربي خاصة وأنها اعتبرت ما هو ثقافي له علاقة بالتطلع الفني والفكري مستثنية

مضامين برامج إعلامية عن الأحداث الثقافية رغم أن هذه الأحداث هي مادة الجو الثقافي السائد في الفضاء العام. ونفس الشيئ حيث تم استثناء واستبعاد المضامين الدينية من مجال المضامين الثقافية إن حتمية مراجعة مفهوم المضامين الثقافية[13] ينبغي أن تتم حسب مسار التحولات التكنولوجية والمعرفية والاجتماعية السائدة داخليا وخارجيا وثمة من أشار إلى أن قدرا كبيرا من المضمون الإعلامي المقدم في الصحافة" الإذاعة والفضائيات يتسم بالسطحية وغلبة المضامين الترفيهية الضحلة وتراجع المحتوى المعرفي. . .

الذي قد يتعرض هو بذاته للكثير من الضغوط في الفضاء العربي (الرقابة الرسمية) أو وفق قوانين معينة [14]

-ينبغي أن يشكل مضمون الثقافة العلمية في وسائل الإعلام نافذة لنشر هذه الثقافة في أوساط العام والخاص. لأنها لا تشعر الجمع المتلقي بالتخلف فقط، وإنما العمل على أن تبعث الشعور بالثقة لإمكانية الإسهام الفعلي في هذا الميدان.

انه من خلال ما ذهبنا إليه نود أن نؤكد على جانب مهم فيما يخص رهان المضامين الثقافية وهو الانشغال بإنتاج مضامين متفتحة على بلادنا على محليتنا ، بأسلوب إبداعي يثير انتباه المتلقي لثراء وواقع بلده فلا يشعر بالاغتراب أو بعدم الانتماء إليه.

- مضامين ثقافية ورهان الهوية :

قد يعبر الصراع أو النزاع حول المضمون الثقافي المنتج عبر وسائل الإعلام عن نزاع تنافسي اقتصاديا غير واضح. لكن تبقى شلا عملية البث الإذاعي أو التلفزي عملية (معيارية قيمة) لا يمكن أن تكون أخلاقيا واجتماعيا محايدة. وهذا ما اثر في بعض السياسات السمعية

البصرية في أوروبا فثمة رهانات إستراتيجية تتحدث عن إمكانية فصل الثقافة عن الهوية المتجلية في هويات معينة (وطنية، عرقية. . . .)[15] من هنا فحتى بعض مهام وسائل الإعلام الأساسية: كالترفيه والتربية والإعلام تتحدد وفق هذه الرؤية. ويقول جاك Ellul [حينما تعرض آلاف الصور (أي الحقول الإعلامية) التي تحمل نفس الرسالة الرئيسية على لا وعينا، تصبح في الغاية سطوتها مكونا حاسما في مواقفنا وآرائنا].

أصبحت مهمة حماية الهوية الثقافية، في سياق بناء رصيد الثقافة الوطنية المتعددة، المدعمة بالقيم الذاتية مطلبا ملموسا في الوسط الحضاري العربي الإسلامي، أصبح الطرح المعاصر يماشي مستجدات النقاش الحاصل في نماذج ضرورة حماية التنوع الثقافي الذي هو التراث المشترك للإنسانية جمعاء الذي يحتم على مجتمع المعلومات القيام باحترام الهوية الثقافية ولتنوع الثقافي واللغوي والتقاليد والأديان وتعزيز احترام هذه المفاهيم وتأكيد الهويات المختلفة المتنوعة واللغات المختلفة والحفاظ عليها[17]

من هنا فإننا نرى أن اتجاه وسائل الإعلام السمعية البصرية نحو تناول والارتواء من مناهل مكونات الثقافة الوطنية يبقى حاليا أكثر من ضرورة. ونحن هنا نتذكر الصراع الثقافي والقانوني الذي خاضته فرنسا في سبيل حماية الخصوصية أو الذاتية الثقافية من خلال المفاوضات

(GATT) التي انبثقت منها عبارة " الاستثناء الثقافي Exception culturelle [18] باعتبار أن المواد السمعية البصرية والثقافية لها طابع مزدوج اقتصادي وثقافي وأدت المفاوضات التجارية (OMC) منظمة التجارة العالمية تحديد غائية الحفاظ على هذا التنوع الثقافي (diversité culturelle).

وتم التوصل إلى اتفاقية اليونسكو في 20 أكتوبر 2005 التي حددت للسياسات الثقافية الوطنية ضرورة ترقية وحماية تنوع أشكال التعبير الثقافية في القطاع السمعي البصري، دفاعا عن القيم ضد أخطار التميط باعتبار الفعاليات والسلع الثقافية ذات حمولة دلالة للهوية وللقيم وللمعنى.

لهذا فتوجيه وسائل الإعلام لمضمون ثقافي محلي يندرج في هذا السياق، خاصة وانه يمكن إعادة إنتاج مواد معينة والاستثمار فيها برؤية إبداعية مختلفة. والإبداع كما يقال الآن هو مصدر الميزة التنافسية، إن الأمم التي ستحاول بحق الحيلولة دون زوال صناعات المحتوى ستتفوق على تلك التي تكف عن الكفاح من اجل نشر وتنويع مشروعات المعرفة والمشروعات الإبداعية في ظل الاندماج المتنامي لمنتجي وموزعي المحتوى العالمي[19]

إن بناء شخصيتنا بهويتها الوطنية والحضارية رهين وبمدى انفتاحنا على بلدا وعاداتنا ورصيدنا من التراث الشعبي القديم والمعاصر، بمختلف أشكاله، مع عدم الادعاء بان لوسائل الإعلام وحدها القدرة على البناء الثقافي وتحقيق الذات فهل يمكن لوسائل إعلامنا مساعدتنا في تأمل وتقدير عوالمنا الثقافية المتنوعة ؟

هل تساعدنا في عدم القفز على تاريخنا ؟ إن شيئا ما قد يموت بصورة ما إذا ما قطع عن وسطه الثقافي المعتاد إذا أن لغته خارج هذا الإطار تفقد معناها" كما قال المفكر مالك بن نبي.

إن المضامين الثقافية المحلية تساعدنا في الإحساس بالانتماء إلى ما هو مشترك بيننا إلى معرفة ما نملك حقا من رصيد يجعلنا نقف ونواجه ونتحدث بدون عقدة مع أي أخر كان.

قال احد المثقفين : [الثقافة هي معرفة الوسط الذي نحيا فيه معرفة جيدة والذين لا يملكون هذه الثقافة على غير علم بوسطهم وهم بهذا مغتربون اغترابا مضاعفا فليس لهم سطوة على بيئتهم ويعتمدون على من لديهم هذه "المعرفة" يشكل دائم" [20]، خاصة في زمن أصبحت المضامين المسموعة والمرئية مرتبطة بالزمن الغربي كما يرى د. عزي عبد الرحمن، وحتى تلك المنتجة محليا فإنما كثيرا ما تعيد إنتاج وتيرة الزمن الإعلامي الغربي (المسلسلات، الأفلام، تقديم الأخبار) وهذا الإنتاج الوافد يكون على حساب الزمن المحلي سواء أكان اجتماعي أو قيميا مما قد يؤدي إلى إضعاف الهوية والإحساس بانتماء. [21] ينبغي إذن تطوير المضمون المحلي المنبثق مما نملكه ونعرفه، ومما نملكه ونجهله أو نتجاهله بفعل أسباب مختلفة ليس هنا موضع تفصيلها.

وأراني أدعو إلى مراجعة تقرير الأمريكي الباحث والبور شرام الخاص بوسائل الإعلام والتنمية الوطنية الذي كتب فيه [22][إن تقدم امة من الأمم يعتمد أولا وقبل كل شيء على تقدم شعبها. فيما لم تقم الأمة روح الشعب والطاقات البشرية فهي غير قادرة على أن تنمي أي شيء أخر، ماديا أو اقتصاديا أو سياسيا أو ثقافيا. المشكلة الأساسية لمعظم الدول المتخلفة ليس الفقر في الموارد الطبيعية وإنما التخلف في الموارد الإنسانية ومن هنا كان واجبها الأول هو بناء الأفراد أو بناء رأس المال البشري. ومعنى هذا رفع مستوى التعليم والحضارات وبث الأمل في نفوس الناس، وبالتالي تحسين الصحة العقلية والجسمانية لرجالها ونسائها وأطفالها، تساعد وسائل الإعلام على بعث هذا الأمل، وجعل الناس يتغيرون لدفع التنمية المحلية، وتجسيد التواصل فيما بينهم.

الهوامش

1- جاك أيلول : خدعة التكنولوجيا- ترجمة د. فاطمة نصر المكتبة العلمية. مصر. 2004. ص 404

2- عزي عبد الرحمن : الإعلام وتفكك البنيات القيمية قراءة معرفية في الرواسب الثقافية. الدار

المتوسطية للنشر - تونس 1430 ه -2009- ص160

3- عبد الحميد ساحل : الصورة السمعية البصرية كمصدر ثقافي- "جريدة المؤتمر" الدورة التاسعة للمؤتمر الدائم للوسائل السمعية البصرية في حوض المتوسط 8 ماي 2002 –الجزائر-

4- UNESCO : Les programmes culturels sur les chaines publiques de TV européennes 1998 DOC/ MAG/PDF/Programmes-culturels- TV

5- نصر الدين العياضي، يوسف تمار : فن البرمجة وإعداد الخارطة البرامجية في القنوات التلفزيونية العربية : جدلية التصور والممارسة- اتحاد إذاعات الدول العربية- تونس 2007. ص95

6- UNESCO : Les programmes culturels sur les chaines de TV européennes : P09

7- عبد الرحمن عزي : الإعلام والبعد الثقافي من القيمي إلى المرئي في المجلة الجزائرية للاتصال : العدد 13 جانفي 1996 ص 95

8- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة – ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر بدون تاريخ ص 120

9- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ص 132

10- UNESCO : Les programmes culturels sur les chaines de TV européenne

11- in : conseil supérieur de l'audiovisuel (CSA) la lettre SCA N° 170 CRA- Février 2004

12- انظر : التقرير السنوي لعام 2009 : " البث الفضائي العربي مجلة الإذاعات العربية- اتحاد إذاعات الدول العربية عدد 1- 2010

13- رضا النجار : اتجاهات البرمجة التلفزية في الوطن العربي المجلة التونسية للاتصال- العدد 7 – جانفي/جوان 1985

14- في : تقرير المعرفة العربي للعام 2009- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) مع مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم- طبع دبي – ص 59

15- in : UNESCO : Les programmes culturels : P19

16- في جاك ايلول (Ellul) خدعة التكنولوجيا، مرجع سابق. ص 402

17- انظر تقرير المعرفة العربي للعام 2009 ص40

18- in- Exception culturelle et chaines télévisées françaises . deo- dt com. u. dans 2. fr// audio 2007

19- جون هارتلي (Hartley الصناعات الإبداعية – تر : بدر السيد سليمان الرفاعي – عالم المعرفة- الكويت- العدد 338- ابريل 2007 ص232

20- جاك ايلول : خدعة التكنولوجيا. مرجع سابق ص 159

21- عبد الرحمن عزي : الإعلام وتفكك البنيات القيمية مرجع سابق ص 32

22- والبورشرام : أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية : دور الإعلام في البلدان النامية- تر : محمد فتحي- يحي أبو بكر –الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة- 1390 هـ -1970م- ص60